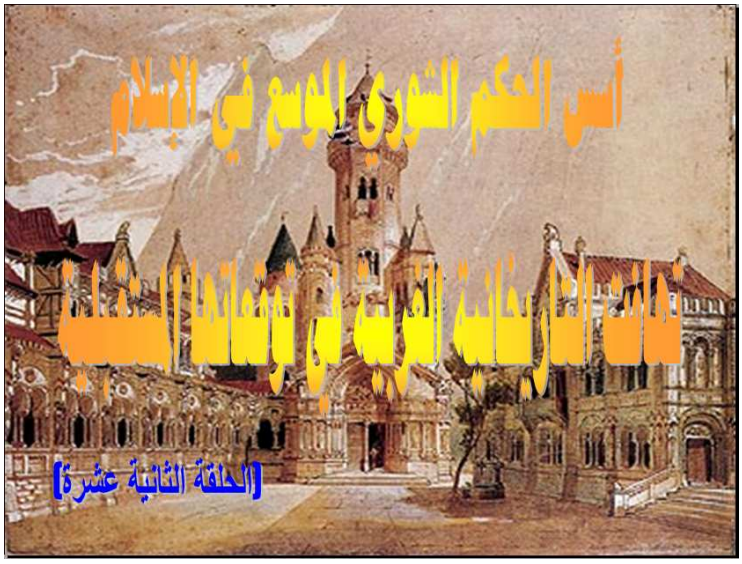

أسس الحكم الشوري الموسع في الإسلام

(الحلقة الثانية عشرة)

تهافت التاريخانية الغربية في توقعاتها المستقبلية

مادام التوقع المستقبلي الدقيق بمآلات المجتمع ممتنع، على ما تقدم لنا الوقوف عليه من خلال البديهية الخامسة {أنظر الحلقة 9 من هذا البحث}، التي تنفي إمكان التوقع بالمستقبل، فنستنتج أن:

كُلّ أشكال التاريخانيات (historicisms)، كما تطوّرَت في الغربِ، ومنذ زمن الفيلسوف أفلاطون (428 ق.م – 348 ق.م) 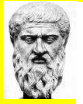 **، محض ترهات، وادعاءات، لا سند لها من الواقع أو العلم، ولا تتعدى في أحسن أحوالها أن تكون تخرصات ورجومات بالغيب متعالمة.**

ولنا على هذا الفشل الدريع في التوقع أمثلة من التاريخ، حال ما حصل مع:

1) التاريخانية المرتبطة بالعلم الأخرويِّ المسيحي، التي تُعالجُ النبوءاتَ الأخروية للنبي دانيال في "رؤياه"، والتي حاول الكاثوليك والبروتستانتيون تأويلها، كل من منطلق معتقده الخاص، على عدوه العقائدي التقليدي!

ف التاريخانيون المسيحيون (*Christian historicists*) يرون، على اختلاف مشاربهم العقائدية، أن نبوءات:

أ) المسيح الدجال (ضد المسيح) الوارد ذكره في الفقرة 18 من الإصحاح الثاني من: رسالة يوحنا الأولى:

2: 18 أيها الأولاد هي الساعة الاخيرة و كما سمعتم إن ضد المسيح يأتي قد صار الان اضداد للمسيح كثيرون !!! من هنا نعلم أنها الساعة الاخيرة !!!،

ب) و"الوحش"، الوارد في الإصحاح الثالث عشر من سفر الرؤيا:

13: 1) ثم وقفت على رمل البحر فرايت وحشا طالعا من البحر له سبعة رؤوس و عشرة قرون وعلى قرونه عشرة تيجان وعلى رؤوسه اسم تجديف

13: 2) و الوحش الذي رايته كان شبه نمر {صورة متخيلة له} **و قوائمه كقوائم دب و فمه كفم اسد واعطاه التنين قدرته و عرشه و سلطانا عظيما**

13: 3) و رايت واحدا من رؤوسه كانه مذبوح للموت و جرحه المميت قد شفي و تعجبت كل الارض وراء الوحش

13: 4) و سجدوا للتنين الذي اعطى السلطان للوحش و سجدوا للوحش قائلين: من هو مثل الوحش من يستطيع ان يحاربه ؟.....

ت) و إنسان الخطية ابن الهلاك، الوارد ذكره في الفقرة الثالثة من الإصحاح الثاني من رسالة بولس الثانية إلى أهل تسالونيكي:

2: 3) لا يخدعنكم احد على طريقة ما لأنه لا يأتي إن لم يأت الارتداد أولا و يستعلن إنسان الخطية ابن الهلاك .

ث) والعاهرة الواردة في الإصحاح السابع عشر من سفر الرؤيا:

17: 1) ثم جاء واحد من السبعة الملائكة الذين معهم السبعة الجامات و تكلم معي قائلا لي: هلم فاريك دينونة الزانية العظيمة الجالسة على المياه الكثيرة

17: 2) التي زنى معها ملوك الارض و سكر سكان الارض من خمر زناها

17: 3) فمضى بي بالروح الى برية فرايت امراة جالسة على وحش قرمزي{صورة متخيلة له}

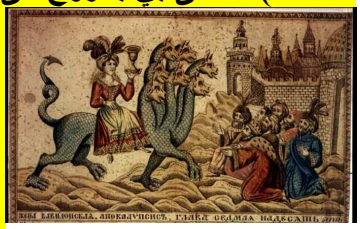

مملوء أسماء تجديف له سبعة رؤوس و عشرة قرون.

17: 4) والمراة كانت متسربلة بأرجوان و قرمز و متحلية بذهب و حجارة كريمة و لؤلؤ و معها كاس من ذهب في يدها مملوة رجاسات و نجاسات زناها

17: 5) وعلى جبهتها اسم مكتوب سر بابل العظيمة ام الزواني ورجاسات الأرض

17: 6) ورأيت المراة سكرى من دم القديسين ومن دم شهداء يسوع فتعجبت لما رايتها تعجبا عظيما .....

كُلّها تنطبق على التأريخ المسيحي وعلى الحرب المستمرة بين المسيح والشيطان ضمن الكنيسةِ المسيحيةِ.

وهي الحرب التي ستتوج بعودة المسيح ثانية وقيام القيامة في أواخر الأيام، إلا أنهم

يختلفونَ في تأويل هذه النبوءات.

أ) ف التاريخانيون الإصلاحيون البروتستانتيون يرون أن هذه النبوءاتِ تنطبق مباشرة على روما البابوية كنظام، يتبنى كشكولا من العقائد، هي في الحقيقة ناقضة لما كرز به المسيح في مواعظ الجبل، ولرسالةِ العهد الجديدَ القائلة بإمكان حصول النعمةِ من خلال الإيمان البسيطِ فقط، بينما نجد:

ب) اليسوعيين، المحسوبين على الكنيسة البابوية يتبنون المستقبليةِ، التي تقُولُ أساساً، بأن نبوءات المسيح الدجالَ لا علاقة لها بتاريخ روما البابوية، بل برجلِ شرّير وحيدِ سيأتي في أواخر الأيام.

ثالثاً:

وبما أن نص سفر دانيال ملغز ومفرط في استعمال الرموز، فلا ننتظر أن يكون لتأويلاته من تنزيل على الواقع من غير لبس، حتى لو صح نص الرؤيا ولم يشبه تحريف.

وبمعنى آخر، فنص دانيال لا يصلح للتوقع بشيء على أرض الواقع.

وهو ما ينطبق في الحقيقة على كل كتب التوراة، لما شابها من تحريف مقصود وغير مقصود.

2) التاريخانية الهيغلية، المرتبطة بأفكار الفيلسوفِ الألماني؛ جورج ويلهيلم فريدريك هيغل (*Georg Wilhelm Friedrich Hegel*) حول الوسائلِ التي تجعل المجتمعات الإنسانية تَتقدّمُ.

و تكمن المغالطة في التفسير الهيغلي في تولد تيارين، كلاهما ينتسب إلى هيغل ويدعي استنباط مسلماته من تعاليمه:

ا) التيار اليميني الهيغلي، الذي يتخذ من تاريخانية هيغل تكأة لتبرير المصير الفريدِ للمجموعاتِ الوطنيةِ وأهميةِ الاستقرار السياسي والمؤسساتِ.

ب) الهيغليون الشبان، الذين يتخذون من تاريخانية هيغل مطية لتبني مذهب التقدم الإجتماعي، الذي يُعالجُ القوى المتعارضة في المجتمع من أجل الحصول على النتائج المُحسَّنةِ المُخْتَلِفةِ.

ثلث:

يكفي القول، لكي نثبتْ التناقضات الداخلية لهذه التاريخانية الهيغلية، بأنّ كارل ماركس ، وهو هيغلي شاب جلد، طوّرَ "نظرية في الاغتراب" تَتطابق في خطوطها العريضة مع فكر اليمين الهيغلي، عدوه الدوغماتي الكبير، حين جادل بأنّ الرأسماليةِ تُعرقلُ الطبيعة المُتجَذِّرة للعِلاقاتِ التقليديةِ بين العُمّالِ وعملِهم.

3) التاريخانية الأنثروبولوجية، في شقيها؛

أ) السبنسري، نسب إلى العالم والفيلسوف الاجتماعي؛ هيربيرت سبينسر (Herbert Spencer) (1820 - 1903) 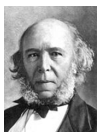 كما سطرها في كتابه: "مبادئ عِلْمِ الأحياء" المنشور سنة 1864، حيث عرض فيه مفهومِه المتعلق بالمنافسةِ من أجل البقاءِ أو السيطرةِ، المعبر عنها بشعاره المبتذل الشهير؛ "البقاء للأصلح".

فسبنسر يقيم مقارنة بين الاقتصاد الفيكتوري السائد في عصره، ونظريات تشارلز داروين (1809 – 1882) في التطور، ليقرر؛ بأن التنمية الاجتماعية عَكستْ لياقة تَكيُّفية، دون أن يوضح: ما الذي يَجْعلُ الأمم تنهض أو تسقط في التأريخ.

ب) البواسي، نسبة إلى الفيزيائي والجغرافي وعالم الإنسانيات: اليهودي الأمريكي الجنسية، الألماني الأصل؛ فرانز بواس (1858 -1942) (*Franz Boas*) .

ف بواس طور عِلْم أجناس بشري ثقافي له إلتزام قوي ب:"التجريبية"، التي تَنْظرُ بارتياب إلى كل المحاولاتِ التي تروم صيَاغة "قوانين علمية" للثقافةِ.

ورأى بأن:

- "الثقافة"، كتعابير إجتماعية "طيّعة" وديناميةٍ، إلا أنها لا يمكن التوقع بها. وبأن:
- "العمل الميداني الأنثوغرافي"، ضروري، حتى ينغمس عالم الإنسانيات فيه ليُتآلفُ مع الناسِ المدروسين، من خلال الاستقرار لفترة زمنية طويلةٍ بينهم، حتى يستطيع أن يَجري بحثه بينهم بلغتهم الأصليةِ، ويَتعاونُ مَع الباحثين المحليين، في جمع البياناتِ، التي هم أقدر على فهمها مِنْ أيّ دخيل،

وقد تبني بواس "النسبوية الثقافية" كأداة منهجية في إجْراء العمل الميداني، وكأداة إرشادية لتَحليل البياناتِ.

قلت:

وبما أنّ بواس، كغيره من الأنثروبولوجيين (الإناسيين) ما كان بوسعه التكهن بوجود برنامج جاري في الخفاء يُشيِّء باستمرار كُلّ الحقائق الإجتماعية، بالإضافة إلى أن عِلْم أجناسه البشرية ظل يُنظر إليه كنقيض لعلم الأجناس البشرية الذي تطور في كل من إنجلترا، وفرنسا، وألمانيا، فلا عجب أن يظل تنظيره عقيما غير مثمر، وألا يأتي بجديد!

وواضح من هذه المفارقة، التي تَجْعلُ من عِلْم الأجناس البشرية، علماً متلوناً بعقيدة المنظر، وأداة دوغماتيةِ، لا يمكن أن تمث بحال إلى مسمى العِلْم!

نقد التاريخانية التي تطوّرتَ في الغربِ

أوّل من نعرف عنه انتقاده للتاريخانية كما تطوّرتْ في الغربِ: الفيلسوف النمساويَ الأصل الإنجليزيَ الجنسية؛ كارل ريموند بوبر (1902 -1994) (*Karl Raimund Popper*) .

ف التاريخانيون عند كارل بوبر، كما يستشف مِنْ كتابيه؛ "فقر التاريخانية" (The Poverty of Historicism) 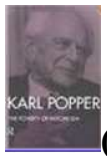

و" المجتمع المفتوح وأعدائه" (The Open Society and Its Enemies)

ينظرون إلى العلوم الإجتماعية بافتراض أنّ التوقع التاريخي هو هدفُهم الأساسيُ، ويَفترضُون بأنَّ هذا الهدفِ سهل المنالُ من خلال إكتِشاف: ' الإيقاعات"، أو 'الأنماط'، أو ' القوانين"، أو 'الاتجاهات' التي تقبع وراء تطور التأريخ.

قلت:

وهي مهمّة مستحيلة، كما رَأينَا في الحلقات السابقة.

هاجم بوبر في "المجتمع المفتوح وأعدائه"، كل أنواع التاريخانيات وكُلّ ممثليها المبرزين من شاكلة: أفلاطون، وهيغل، وماركس، وسبنجلر (Oswald Arnold Gottfried Spengler) (1880 – 1936) ... حيث أصدر عليهم حكمه الجامع بكونهم: "أعداء المجتمع المفتوح".

فهو يقول، باقتباس من الفيلسوف: شوبنهاور (Arthur Schopenhauer) (1788 – 1860) :

هيغل، المُنَصب مِنْ فوق، بالسلطات المفترضةِ، كالفيلسوف العظيم المؤهّل، كَانَ رأساً مفلطحا غير محتمل، تَقْزيزي، نصّاب أمّي، وَصلَ ذروةَ الجرأةِ بخَرْبَشَة تجمع سويا بين الهراءَ والحيرةَ الأشدّ جنوناً.

ويُضيفُ بوبر من عنده؛

شهرة هيغل صُنعت مِن طرف أولئك الذين يُفضّلونَ التلقين السريع للأسرار الأعمق لهذا العالمِ بدل التفاصيلِ المرهقةِ للعِلْمِ الذي، قدْ يَخِيبُ، مع ذلك، أملهم لافتقاده للقوَّةِ القادرة على فك كُلّ الألغاز.

وقال أيضاً؛

الهيغيلية هي. . . بالضبط هذا النوع مِنْ الخُرافةِ الشعبيةِ التي تفترض أنها فلسفةٌ. فهي تعْرِفُ كلّ شيء عن كُلّ شيء، ولَهُا جواب جاهز عن كُلّ سؤال.
في الحقيقة، مَنْ يَسْتَطيع أنْ يَكُونَ متأكّدا بأن الجوابِ لَيسَ صحيحا؟

وكْتبُ في مقدمة: "فقر التاريخانية"؛

"حاولتُ أنْ أجادلَ ضدّ هذه الإدّعاءاتِ؛ {أي: اكتشاف قوانينَ التأريخ التي تُمكّنُ من التوقع بالأحداثِ التأريخيةِ المستقبلية}، وأبين أنها تستند إلى سوء فهم إجمالي لطريقةِ التوقع العلمي وللنبوءةِ التأريخيةِ ...}

قلت:

وقد استهدفَ بوبر أيضاً، بالإضافة إلى هذا النقد المُدَمّر للتاريخانية ومروجيها، ما سماه ب؛ "التاريخانية الأخلاقية "، التي تحاول استنباط القِيَمِ الأخلاقيةِ مِنْ سياق التاريخ.

وهاجمَ أيضاً التاريخانية التي تميل لاعتبار كُلّ حجّة وفكرة بأنهما تفسّران بالكامل بسياقِيهما التاريخيين، بدل تَقييمهما بما يستحقان من موضوعية وتجرد.

قلت:

وسوف يُتَذكر كارل بوبر، مِنْ منظور إسلامي، بأنه مبتكر نظرية التخطئة (falsifiability) كمعيار للفصل ما بين ما هو علمي وما ليس بذلك.

وقد أعلنَ عن هذا المعيار في كتابه، "منطق الاكتشاف العلمي" (*The Logic of Scientific Discovery*)

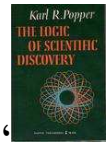

، الذي نَشرَه في سنة 1934، حيث إنتقدَ فيه: "النفسانية" (*psychologism*)، والطبيعية (*naturalism*)، والاستقرائية (*inductionism*) والفلسفة الوضعية المنطقيّة، معتبرا: أنها جميعها لا تندرج ضمن العلوم.

وقد أثبتنا نحن في مكان آخر، بأنّ دعاوى القرآنَ يناسبها هذا النوع من التخطئة، كاختبار بالحامض.

انتهى وتليه الحلقة 13

الإطار المرجعي الإرشادي للمجتمع الإسلامي